جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

سبق

ذكرها، لكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم استجدّت حوادث فرضت هذا الجمع، وكانت أهم هذه الأسباب:

- لحوق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، فقد كان يشكّل وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهراني المسلمين أمانًا لهم من حصول الخلاف أو من ضياع شيء من القرآن ، كما سبق بيانه.

ومع لحوقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى توقف الوحي، فانتفى المانع الذي من أجله لم يجمع القرآن في مصحف واحد في زمنه صلى الله عليه وسلم ، وانضمَّ إلى ذلك ما سيأتي من أسباب:

- انقضاء نزول القرآن الكريم؛ فأُمِن نزول شيء من القرآن يتغير معه ترتيب الآيات في السور، أو نقص أو زيادة بعضها. فكان انقضاء نزول القرآن سببًا لجمعه في كتابٍ واحد؛ حفاظًا عليه من الضياع والتبديل.

- معركة اليمامة؛ فبمجرد تولّي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة حتى ارتدّ كثير من العرب، وامتنع كثير منهم عن أداء الزكاة .

كما ظهر من العرب من يدّعي النبوة ، فاستجمع أبو بكر قواه لقتال المرتدين ومانعي الزكاة ومدعي النبوة. وكان من أعتى أدعياء النبوة مسيلمة الكذاب، وكان قومه بنو حنيفة الذين كانوا يسكنون اليمامة قد التفّوا حوله واتّبعوه. فأرسل إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشًا بقيادة عكرمة بن أبي جهل، وأمدّه بشرحبيل بن حسنة، وانْهزم عكرمة أول الأمر، ثم جاءهم خالد بن الوليد بِمدد وقاد الجيش إلى النصر.

وكانت موقعة اليمامة سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية، وقُتِل فيها مسيلمة الكذاب، وكثير مِمَّن كان معه، لَمَّا حوصروا في الحديقة التي عرفت فيما بعد بِحديقة الموت، فقد قتل فيها من بني حنيفة نحو سبعة آلاف رجل، وبلغ القتلى من الصحابة نحو ستمائة وستين رجل، وكان جملة القتلى من المسلمين نحو مائتين وألف رجلٍ.

قالَ قَتَادَةُ: وَحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبْعُونَ. قَالَ: وَكَانَ بِئْرُ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم ، وَيَوْمُ الْيَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ. وعن سعيد بن المسيب قال: قُتِل من الأنصار يوم اليمامة سبعون.

وإذا كان هذا هو عدد القتلى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في يوم اليمامة، فلا شك أن الكثير منهم كان مِمَّن حفظ القرآن، إما كله أو بعضه، فيكون الْمجموع حافظًا لكل القرآن.

إثر تلك الواقعة قال عمر رضي الله عنه لأبي بكر حاثًّا إياه على جمع القرآن: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ. فتردّد أبو بكر أول الأمر، لأنه تهيّب من فعل شيء لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وكَرِهَ أن يُخالف ما فعله النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم من جمع القرآن، حيث لم يجمعه في صحفٍ أو مصاحف.

لكن عمر بقي يراجعه حتى شرح الله صدره لهذا الأمر، فدعا زيد بن ثابت رضي الله عنه، وطلب منه أن يجمع القرآن، فتردد زيد رضي الله عنه تردّد أبي بكر أوّل الأمر، فما زال أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره له.

قال الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي ابْنُ السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه ، وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ، قال: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقال: أَبُو بَكْرٍ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقال: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ

فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلاَّ أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ. قال: أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ لِعُمَرَ كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقال: عُمَرُ هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قال زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لاَ يَتَكَلَّمُ. فَقال أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلاَ نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَواللهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقال أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ. فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: "لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ" إِلَى آخِرِهِمَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ".

ولقد كانت هذه الوقعة أهم الأسباب التي اكتملت بها الحاجة إلى جمع القرآن، ، لَمَّا رأى الصحابة أن مصلحة الدين، وحفظ الكتاب الحكيم لا تتم إلا به.

من قام بالجمع في عهد أبي بكر؟

مرَّ فيما سبق أن الذي أشار بجمع القرآن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأن أبا بكر ندب لِهَذِهِ المهمة زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

وقد بين أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسباب اختياره زيدَ بن ثابت في الحديث الذي أسلفناه، حيث قال له: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلاَ نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ.

وقد ورد أيضًا أن زيد بن ثابت كان قد حضر العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، كما مرَّ.أضف إلى ذلك أن زيد بن ثابت كان ممن جمع القرآن حفظًا في صدره في حياة رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم.

فَعَنْ قَتَادَة قَالَ: قُلْتُ لأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ قَالَ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ.

فتبين أن أبا بكر رضي الله عنه إنَّما اختار لِهذه المهمة الخطيرة زيد بن ثابت للأسباب الآتية:

- أنه كان شابًّا، حيث إن الشابَّ أقوى وأجلدُ على العمل الصعب ، كما أن الشابَّ لا يكون شديد الاعتداد برأيه، فعند الاختلاف يسهل قبوله النصح والمراجعة.

- أن زيد بن ثابت كان معروفًا برجاحة عقله، ولحظّه من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

- أنه كان غير متهم في دينه، فقد كان معروفًا بشدة الورع، والأمانة وكمال الخلق، والاستقامة في الدين.

- أنه كان يكتب الوحي لرَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ويرى إملاء رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فكان يشاهد من أحوال القرآن ما لا يشاهده غيره، وهذا يؤهله أكثر من غيره ليكتب القرآن، ويجمعه.

- أنه كان حافظًا للقرآن الكريم عن ظهر قلب، وكان حفظه في زمن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وشهد العرضة الأخيرة.

منهج أبي بكر في جمع القرآن:

اتَّبع الصحابة في جمع القرآن على عهد أبي بكرٍ رضي الله عنه منهجًا دقيقًا حريصًا، لصون الكتاب العزيز من كل زيادة أو نقصان أو تحريف،

ويُمكن تلخيص ذلك المنهج في النقاط الآتية:

- أن يأتي كلُّ من تلَقَّى شيئًا من القرآن من رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم به إلى زيد بن ثابت ومن معه.

- أن لا يُقبل من أحدٍ شيءٌ من القرآن حتى يشهد عليه شهيدان.

ويدل على ذلك قول أبي بكرٍ لعمر بن الخطاب ولزيد ابن ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

- أن يكتب ما يؤتى به في الصحف؛ ويدلُّ عليه قول زيدٍ في حديث جمع القرآن السابق: وَكَانَتِ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ.

- أن لا يُقبل مِمَّا يُؤتى به إلا ما تحقق فيه الشروط الآتية:

أ- أن يكون مكتوبًا بين يدي النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، لا من مُجرد الحفظ، مع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند هذا الشرط.

ب- أن يكون مما ثبت عرضه على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم عام وفاته، أي في العرضة الأخيرة.

- أن تكتب الآيات في سورها على الترتيب والضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم.

مزايا جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

كان لِجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه منزلة عظيمة بين المسلمين، فلم يَحصل خلاف على شيء مِمَّا فيه، وامتاز بِمزايا عديدة، منها:

- أنه جمع القرآن على أدقِّ وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول التثبت العلمي، كما مرَّ بنا في منهج أبي بكر في جمع القرآن.

- حصول إجماع الأمة على قبوله، ورضى جميع المسلمين به.

- بلوغ ما جُمِع في هذا الجمع حدّ التواتر، إذ حضره وشهد عليه ما يزيد على عدد التواتر من الصحابة.

- أنه اقتصر في جمع القرآن على ما ثبت قرآنيته من الأحرف السبعة، بثبوت عرضه في العرضة الأخيرة، فكان شاملاً لما بقي من الأحرف السبعة، ولم يكن فيه شيء مِمَّا نُسِخَت تلاوته.

- أنه كان مرتب الآيات دون السور.

ولقد حظي هذا الجمع المبارك برضى المسلمين، وحصل عليه إجماع الصحابة رضي الله عنهم.